

أوائل المسامير

١١

# إسلام الحجاج السلمي

بقلم  
السيد شحاته



أوائل المسلمين

# إسلام الحجاج السلمي

بقلم  
السيد شحاته

منشأة  
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربَّ العالمين ، والصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الْمَبْعُوثِ  
رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَمَنِ اهْتَدَى بِهِدْيِهِ إِلَى  
يَوْمِ الدِّينِ .

وَبَعْدُ :

فَهَذِهِ صُورَةٌ صَادِقَةٌ بَيْنَ يَدَيْكَ أَيُّهَا الْقَارِئُ الْعَزِيزُ ،  
لِصَفْوَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ الْأَجَلَاءِ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا  
وَضَحَّوْا بِالْغَالِي وَالنَّفِيسِ فِي نَشْرِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الْمُبَارَكَةِ .

وَقَدْ جَاءَتْ رَاحَةُ الْأُسْلُوبِ ، قَرِيبَةً إِلَى الْأَذْهَانِ .

وَاللَّهُ نَرْجُو أَنْ تَكُونَ مُفِيدَةً هَادِيَةً ، وَأَنْ يَسْتَفِيدَ مِنْهَا كُلُّ  
مُسْلِمٍ لِأَنَّهَا مَأْخُوذَةٌ مِنْ صَفْحَاتِ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ  
الْعَظِيمِ .

وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ

## الحجاج السلمي

حَدَّثَنَا فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ الْخَالِدَةُ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ  
اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، رَجُلٌ صَاحِبُ عَزِيمَةٍ مَاضِيَةٍ ، وَصَاحِبُ  
حِيلَةٍ بَارِعَةٍ .

هُوَ الْحَجَّاجُ بْنُ غِلَاطٍ السُّلَمِيُّ ، نَشَأَ فِي مَكَّةَ ، وَكَانَ سَبَبُ  
إِسْلَامِهِ أَنَّهُ خَرَجَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ فِي رِحْلَةٍ مِنْ رِحَالَتِهِمْ ،  
فَأَظْلَمَ عَلَيْهِمُ اللَّيْلُ ، وَاسْوَدَّتِ الطَّرِيقُ أَمَانَهُمْ ، فَتَزَلُّوا فِي مَكَانٍ  
بِجَانِبِ جَبَلٍ شَاهِقٍ ، وَلَكِنْ الْخَوْفُ اسْتَوْلَى عَلَيْهِمْ وَالرُّعْبُ تَمَكَّنَ  
مِنْ نُفُوسِهِمْ . فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ :

— قُمْ يَا حَجَّاجُ وَاتَّخِذْ لَنَا حِيلَةً نَأْمَنُ بِهَا وَنَهْدَأُ وَنَطْمِئِنُّ فِي  
هَذِهِ اللَّيْلَةِ الشَّدِيدَةِ الظَّلَامِ .

فَقَامَ الْحَجَّاجُ ، وَأَخَذَ يَتْلُو بَعْضَ مَا يَعْرِفُ مِنْ كَلِمَاتٍ وَيَطْلُبُ  
مِنَ اللَّهِ أَنْ يُحْفَظَهُ هُوَ ، وَأَصْحَابَهُ حَتَّى يَرْجِعُوا سَالِمِينَ إِلَى  
أَهْلِيهِمْ ، نَاجِينَ مِنْ شَرِّ الْجِنَّ ، وَصَارَ يَسْتَعِيدُّ ، وَيَفْزَعُ إِلَى اللَّهِ .  
وَبَيْنَمَا هُوَ يُرَدِّدُ مَا يَحْفَظُ مِنْ كَلَامٍ . وَيُرْتِّلُ مَا يَعْرِفُ مِنْ شِعْرِ ،  
يَدْعُو إِلَى السَّلَامَةِ وَالْأَمَانِ — بَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ :



﴿ يَمْعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ  
أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا  
بِسُلْطَنِ ﴿٣٣﴾ ﴾

ولم يكن الحجاج قد سمع بهذا الكلام من قبل ، ولا عهد  
له بمثل هذا القول الممتاز ؛ لذلك حفظه وعلق في صدره ، وصار  
يُرَدِّده أينما سار .

ولما رجع الحجاج مع صحبه إلى مكة ذهب إلى نادى  
قريش كعادته وجلس في وسطهم وقال :

- يا قوم ، لقد نزلت مع صحبى بمكان كذا ، وملك الخوف  
علينا جميع مشاعرينا ، ولما قلت كلاماً أطرده الشياطين سمعت  
قائلاً يقول :

يامْعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ .. فَصَرِّخُوا جَمِيعاً فِي  
وَجْهِهِ ، وقال قائلهم :

- يا حجاج إنك كفرت بأهلتنا ، وخرجت عن عبادتنا ،  
وتركت دين آبائك وأجدادك .





- إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ مِنْ كَلَامِ مُحَمَّدٍ الَّذِي يَقُولُ إِنَّهُ أُنْزِلَ عَلَيْهِ  
وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ سَفَّهَ عُقُولَنَا ، وَسَبَّ أَهْلَنَا ، وَخَرَجَ  
عَلَيْنَا .

فَقَالَ الْحِجَّاجُ :

- يَا قَوْمُ ، وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُهُ وَسَمِعَهُ أَصْحَابِي مَعِيَ .  
وَرَكِبَ الْحِجَّاجُ نَاقَتَهُ سِرًّا ، وَانْطَلَقَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -  
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بِالْمَدِينَةِ ، وَلَمْ يُخْبِرْ أَحَدًا بِمَا عَزَمَ عَلَيْهِ ،  
وَلَمْ يَعْرِفْ إِنْسَانٌ أَنَّهُ خَرَجَ لِيَلْحَقَ بِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْمَدِينَةِ .  
لَمْ تَعْرِفْ زَوْجَتُهُ ، وَلَمْ يَعْرِفْ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْهِ .  
دَخَلَ الْحِجَّاجُ الْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ ، وَذَهَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَدَخَلَ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ . لَأَنَّ اللَّهَ حَرَّكَ فِيهِ  
عَاطِفَةَ الْإِيمَانِ إِذْ سَمِعَ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .  
وَكَانَ دُخُولُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ لِلْهِجْرَةِ وَقَدْ بَدَأَ  
الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُعِدُّ الْعِدَّةَ لِحَرْبِ الْيَهُودِ ، الَّذِينَ كَثُرَتْ  
خِيَانَاتُهُمْ ، وَتَوَالَتْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ شُرُورُهُمْ ، وَصَارُوا حَرْبًا عَلَى  
الْإِسْلَامِ ، يُرِيدُونَ أَنْ يَطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ لَا يَبْدُ  
أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ .

كَانَ الْيَهُودُ يَسْكُنُونَ (خَيْبَرَ) فَقَصَدَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ  
السَّلَامُ مَعَ جَيْشِهِ ، وَحَاصَرَهَا سَبْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً ، ثُمَّ فَتَحَهَا وَمَلَكَ  
أَرْضَهَا وَأَسَرَ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِهَا .

ثُمَّ طَلَبَ الْيَهُودُ مِنَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَتْرَكَ لَهُمُ الْأَرْضَ  
لِيُزَرِّعُوهَا مُنَاصَفَةً بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا .  
فَرَحَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْمَدِينَةِ بِنَصْرِ اللَّهِ فَرَحًا عَظِيمًا لِأَنَّهُمْ كَثِيرًا  
مَاصِرُوا عَلَى شَرِّ الْيَهُودِ ، وَاحْتَمَلُوا مِنْهُمْ أَذًى شَدِيدًا .

\* \* \*

وَكَانَ الْكُفَّارُ فِي مَكَّةَ فَرَحِينَ ، لِأَنَّ مُحَمَّدًا دَخَلَ فِي حَرْبٍ مَعَ  
الْيَهُودِ ، وَهُمْ فِي شَوْقٍ شَدِيدٍ إِلَى أَنْ يَسْمَعُوا أَخْبَارَ هَذِهِ الْحَرْبِ ،  
وَهُمْ أَشَدُّ شَوْقًا أَنْ يَسْمَعُوا أَنَّ الْيَهُودَ قَدْ غَلَبُوا مُحَمَّدًا وَهَزَمُوا  
جَيْشَ الْمُسْلِمِينَ .

كَانَ كُفَّارُ مَكَّةَ يَقُولُونَ إِنَّ الْيَهُودَ فِي خَيْبَرَ لَهُمْ حُصُونٌ شَامِخَةٌ  
وَلَدَيْهِمْ أَسْلِحَةٌ قَاتِلَةٌ ، وَأَنَّهُمْ .... وَأَنَّهُمْ .. فَإِذَا دَخَلَ مُحَمَّدٌ  
مَعَهُمْ فِي حَرْبٍ فَلَا شَكَّ أَنَّهُمْ سَيَنْتَصِرُونَ عَلَيْهِ ، وَيَهْزُمُونَهُ ،  
وَبِذَلِكَ يَسْتَرِيحُ الْكُفَّارُ مِنَ الدَّعْوَةِ الْجَدِيدَةِ الَّتِي جَاءَهُمْ بِهَا  
مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ .



ولكن الله خيب ظن هؤلاء الكافرين ، فانتصر محمد على  
اليهود ، وكان سرور أهل المدينة بهذا النصر كبيراً .  
وكان من المحاربين في جيش المسلمين الحجّاج السلمي .  
ورجع جيش المسلمين إلى المدينة بعد انتصارهم ، ولكن  
الحجّاج لم يرجع معهم إلى المدينة ، بل استأذن رسول الله في أن  
يذهب إلى مكة .

ولما سأله رسول الله عليه السلام ، عن أسباب رجوعه إلى  
مكة قال له :

- يا رسول الله ، إن لي مالا كثيراً في مكة ، ولو علم أهلها بأنني  
أسلمت ، وحاربت مع المسلمين لضاع عليّ هذا المال ، وحرمني  
أهل مكة منه .

كما إنني أدخر عند زوجتي ( أم شيبه بنت طلحة ) حاجب  
الكعبة مالا كثيراً . وهي أشد الناس عداوة للإسلام .

وإنني لحريص على استرداد أموال كلِّها لأنفقها في سبيل الله .  
والرسول الكريم صاحب ذكاء وفطنة فلم يغب عنه ذلك  
فأذن للحجّاج أن يعود إلى مكة ؛ ليجمع ماله الكثير ، ثم  
يعود .

ولكنَّ الحَجَّاجَ اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَمْرٍ آخَرَ .  
ما هُوَ هَذَا الْأَمْرُ ؟

اسْتَأْذَنَهُ أَنْ يَشْتُمَ الْمُسْلِمِينَ وَيَسْبِيَهُمْ أَمَامَ كَفَّارِ مَكَّةَ ، وَأَنْ يُخْبِرَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ مَاتَ فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ ، وَأَنَّ الْيَهُودَ قَتَلُوهُ فِي الْحَرْبِ !!

فابْتَسَمَ الرَّسُولُ ابْتِسَامَةَ الرُّضَا ، وَأَذِنَ لَهُ .

\* \* \*

رَكِبَ الْحَجَّاجُ نَاقَتَهُ إِلَى مَكَّةَ ، وَفِي نَفْسِهِ أَمَلٌ كَبِيرٌ فِي أَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلَى جَمِيعِ أَمْوَالِهِ ، ثُمَّ يَعُودَ إِلَى رِحَابِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَدِينَةِ وَيَسْعِدَ بِجَوَارِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَصَلَ الْحَجَّاجُ إِلَى مَكَّةَ ، وَانْتَقَلَ خَبْرُ عَوْدَتِهِ إِلَى جَمِيعِ قُرَيْشٍ وَقَدْ كَانُوا مِنْ خَبْرِهِ فِي ضَلَالٍ ، بَعْضُهُمْ يَقُولُ : إِنَّهُ مَاتَ ، وَآخَرُونَ يَقُولُونَ إِنَّهُ ضَلَّ .. وَهَكَذَا .

وَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمْ فَرِحُوا بِرَجُوعِهِ ، وَاطْمَأَنَّنُوا إِلَيْهِ ، وَرَحَّبُوا بِهِ ، ثُمَّ التَّفُّوا حَوْلَهُ يَسْأَلُونَهُ :

- أَيْنَ كُنْتَ يَا حَجَّاجُ ؟

فَيَقُولُ الْحَجَّاجُ :





- إِنَّ عِنْدِي مِنَ الْأَخْبَارِ مَا يَسِرُّكُمْ ، لَقَدْ شَهِدْتُ قِتَالَ  
مُحَمَّدٍ فِي خَيْبَرَ وَقَدْ أَنْهَزَمَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ شَرَّ هَزِيمَةٍ ، وَأُسِيرَ مِنْهُمْ  
خَلْقٌ كَثِيرٌ ، حَتَّى مُحَمَّدٌ نَفْسُهُ ، وَقَعَ أَسِيرًا فِي يَدِ الْيَهُودِ .  
ثُمَّ يَزِيدُ الْحِجَّاجُ فِي مُبَالِغَاتِهِ ، وَادِّعَاءَاتِهِ فَيَقُولُ :  
- إِنَّ الْيَهُودَ قَالُوا لَنْ نَقْتُلَ مُحَمَّدًا بِأَيْدِينَا ، وَلَكِنَّا سَنَسَلِّمُهُ  
إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، لِيَفْعَلُوا بِهِ مَا يُرِيدُونَ .

وَهَذَا يَصِيحُ الْمُشْرِكُونَ فَرَحِينَ بِذَلِكَ النَّصْرِ الَّذِي أَتَاهُمْ وَهُمْ  
فِي بَلَدِهِمْ آمِنُونَ .

وَيَسْتَهْزِئُ الْحِجَّاجُ هَذَا الْفَرَحَ ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ إِلَى مَنْ عِنْدَهُمْ مَالُهُ  
فَيُطَالِبُهُمْ بِمَا عِنْدَهُمْ كُلُّهُ مِنْ مَالٍ وَيَقُولُ لَهُمْ :

- أَسْرِعُوا بِرَدِّ مَالِي حَتَّى أُسَافِرَ فَوْرًا إِلَى خَيْبَرَ . فَأَشْتَرِيَ تِجَارَةً  
مِمَّا أَخَذَهُ الْيَهُودُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَسَأَرْجِعُ إِلَيْكُمْ مُسْرِعًا بِرِبْحٍ  
كَبِيرٍ .

وَيَتَسَابَقُ أَهْلُ مَكَّةَ إِلَى رَدِّ الْأَمْوَالِ إِلَى الْحِجَّاجِ ، لِيُسْرَعَ  
فَيَشْتَرِيَ مِمَّا عِنَّمَهُ أَهْلُ خَيْبَرَ فِي حَرْبِهِمْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ .

وَامْتَلَأَتْ أَرْجَاءُ مَكَّةَ كُلِّهَا بِخَبَرِ هَزِيمَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَانْتِصَارِ  
الْيَهُودِ عَلَيْهِمْ فِي خَيْبَرَ ، فَفَرَحَ الْكَفَّارُ ، وَذَهَبُوا إِلَى الْأَصْنَامِ



يُنَظِّفُونَهَا ، وَيُقَدِّمُونَ لَهَا الصَّلَوَاتِ وَالْقَرَّائِينَ ، وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى  
بَعْضٍ مُهْتَشِينَ .

وَكَانَ فِي أَنْحَاءِ مَكَّةَ قَلِيلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَمْ يُهَاجِرُوا إِلَى  
الْمَدِينَةِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فَلَمَّا سَمِعُوا أَخْبَارَ  
هَزِيمَةِ إِخْوَانِهِمُ الَّتِي شَاعَتْ فِي مَكَّةَ حَزَنُوا حُزْنًا كَبِيرًا ، وَتَقَطَّعَتْ  
نَفُوسُهُمْ حَسَرَاتٍ ، وَكَانَ أَكْبَرُ تَفْكِيرِهِمْ فِي الرَّسُولِ الْحَبِيبِ ،  
كَيْفَ يَأْسِرُهُ الْيَهُودُ ؟ وَكَيْفَ سَيَسْلُمُونَهُ إِلَى كُفَّارِ مَكَّةَ ؟  
إِنَّهُمْ يَوَدُّونَ جَمِيعًا لَوْ يُقَدِّمُونَ نَفُوسَهُمْ فِدَاءً لَهُ .

وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَ الصَّبْرَ إِلَى قُلُوبِهِمْ ، فَسَكَنُوا عَلَى هَمٍّ وَقَلْبٍ .

\*\*\*

أَمَّا الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، عَمُّ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ  
وَالسَّلَامُ ، فَكَانَ فِي حُزْنٍ وَحَسْرَةٍ ، لَكِنَّهُ شَغَلَ نَفْسَهُ ، فَلَمْ يُظْهِرْ  
حُزْنَهِ ، وَلَا قَلْقَهُ ، وَصَارَ يُقَابِلُ كُلَّ مَنْ يَأْتِي إِلَيْهِ مُسْتَفْهِمًا عَمَّا  
حَصَلَ لِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ، وَيَتَكَلَّفُ أَمَامَهُ الثَّبَاتَ وَالِاطْمِئْنَانَ .

وَفِي اللَّيْلِ دَعَا غُلَامَهُ وَقَالَ لَهُ :

- اذْهَبْ إِلَى الْحِجَّاجِ ، وَقُلْ لَهُ : إِنَّ الْعَبَّاسَ يُقَرِّئُكَ

السَّلَامَ ، وَيَقُولُ لَكَ : اللَّهُ أَجَلٌ وَأَكْرَمُ مَنْ أَنْ يَكُونَ مَا حَدَّثَ بِهِ حَقًّا .

جَاءَ غُلَامُ الْعَبَّاسِ إِلَى دَارِ الْحِجَّاجِ فَقَالَ لَهُ مَا كَلَّفَهُ بِهِ سَيِّدُهُ فَانْفَرَدَ بِهِ الْحِجَّاجُ وَقَالَ لَهُ :

- يَا أَبَا زَيْبَةَ ، ارْجِعْ إِلَى سَيِّدِكَ الْعَبَّاسِ ، وَقُلْ لَهُ : إِنَّ الْحِجَّاجَ يُرِيدُ أَنْ يَخْتَلِيَ بِكَ فِي مَثَرِكَ ، فَاجْعَلْ لَهُ وَقْتًا يَجِيءُ فِيهِ .

وَيَنْفَلْتُ ( أَبُو زَيْبَةَ ) غُلَامُ الْعَبَّاسِ فَرِحًا مُسْرِعًا إِلَى سَيِّدِهِ قَائِلًا لَهُ مَا قَالَهُ الْحِجَّاجُ .

\*\*\*

جَاءَ الْحِجَّاجُ وَاخْتَلَى بِالْعَبَّاسِ ، وَقَالَ لَهُ الْحَقِيقَةُ كَمَا كَانَتْ ، وَكَمَا وَقَعَتْ ، أَخْبَرَهُ كَيْفَ انْتَصَرَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْيَهُودِ فِي خَيْبَرَ ، وَكَيْفَ قَتَلُوا زَعِيمَهُمْ ( حُيَّيُّ بْنُ أَخْطَبِ ) ثُمَّ قَالَ لَهُ :

- إِنِّي اسْتَأْذَنْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَنْ أَجِيءَ إِلَى مَكَّةَ ، وَأَقُولَ مَا قُلْتُ حَتَّى أُسْتَرَدَّ مَالِي ، وَأُسْتَرْجَعَ مَا دَخَرْتُهُ فِي مَكَّةَ ، لِأَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَأَذِنَ لِي .



فَسَرَّ الْعَبَّاسُ بِذَلِكَ كَثِيرًا ، وَقَامَ إِلَى الْحَجَّاجِ فَعَانَقَهُ ، وَدَعَا لَهُ بِالْخَيْرِ .

وَكَتَمَ الْعَبَّاسُ فِي نَفْسِهِ مَا سَمِعَ مِنَ الْحَجَّاجِ ، وَلَمْ يُظْهِرْهُ  
لِلْمُشْرِكِينَ حَتَّى يَأْمَنَ الْحَجَّاجُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَالِهِ ، ثُمَّ يَعُودَ إِلَى  
رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْمَدِينَةِ وَاسْتَمَرَ الْمُشْرِكُونَ يَتَقَابَلُونَ مَعَ  
الْعَبَّاسِ ، وَيُظْهِرُونَ لَهُ الشَّمَانَةَ بَابْنِ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ فَيَسْكُتُ .  
أَمَّا الْمُسْلِمُونَ فِي مَكَّةَ فَلَمْ يُخْبِرْهُمْ الْعَبَّاسُ بِشَيْءٍ مَخَافَةَ أَنْ  
يَنْسَرِبَ الْخَبْرُ فِي أَنْحَاءِ مَكَّةَ فَيَنَالُ الْحَجَّاجُ مِنْ ذَلِكَ شَرًّا .

\*\*\*

جَلَسَ الْحَجَّاجُ مَعَ زَوْجَتِهِ ( أُمِّ شَيْبَةَ ) فِي آخِرِ لَيْلَةٍ عَزَمَ عَلَى أَنْ  
يَقْضِيَهَا فِي مَكَّةَ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا :  
- أَبْشِرِي يَا أُمُّ شَيْبَةَ ، سَأَسَافِرُ اللَّيْلَةَ إِلَى خَيْبَرَ ، قَبْلَ أَنْ  
يَسْبِقَنِي التُّجَّارُ إِلَى شِرَاءِ الْغَنَائِمِ ، فَسَأَشْتَرِي مِنْهَا مَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ ،  
ثُمَّ أَعُودُ بِقَافِلَةٍ مُحْمَلَةٍ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَبِذَلِكَ سَتَكُونُ مِنْ أَغْنَى  
النَّاسِ فِي مَكَّةَ ، وَسَأَجْلِبُ لَكَ كُلَّ مَا تُحِبُّهُ ، وَكُلَّ مَا تَرْغِبِينَ  
فِيهِ ، حَتَّى لَا يَكُونَ فِي مَكَّةَ كَلِّهَا امْرَأَةٌ أَيْسَرُ حَالًا مِنْكَ ، وَلَا أَعَزُّ  
مَكَانَةً وَعِنْدَ ذَلِكَ تَقُومُ أُمُّ شَيْبَةَ ، وَتُعْطِيهِ كُلَّ مَا دَخَرَتْهُ مِنْ

المال ، وَتَسْتَحْلِفُهُ بِالْأَصْنَامِ أَلَّا يَغِيبَ ، وَأَنْ يُسْرَعَ فِي جَلْبِ  
التَّجَارَةِ ، وَتَدْعُو لَهُ أَنْ يَعُودَ سَالِمًا غَانِمًا الرَّبْحَ الْكَثِيرَ .

\*\*\*

يَخْرُجُ الْحَجَّاجُ مِنْ مَكَّةَ يَرْكَبُ نَاقَتَهُ ، وَيَحْمِلُ مَعَهُ الْمَالَ  
الَّذِي جَاءَ مِنْ أَجَلِهِ ، يَخْرُجُ وَالنَّاسُ فِي مَكَّةَ ، يودُّعُونَهُ آمِلِينَ أَنْ  
يَعُودَ إِلَيْهِمْ مُسْرِعًا بِرَبْحٍ عَظِيمٍ .

يُسْرَعُ الْحَجَّاجُ بِنَاقَتِهِ ، قَاصِدًا صَوْبَ الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ حَيْثُ  
يَنْزِلُ الرَّسُولُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ .

مَرَّتْ بَعْضُ لَيَالٍ بَعْدَ أَنْ سَافَرَ الْحَجَّاجُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ قَصَدَ  
الْعَبَّاسُ إِلَى ( أُمِّ شَيْبَةَ ) وَقَالَ لَهَا :

- يَا أُمَّ شَيْبَةَ ، أَيْنَ الْحَجَّاجُ ؟

فَقَالَتْ زَوْجَتُهُ أُمُّ شَيْبَةَ :

- سَافَرَ لِيَشْتَرِيَ لَنَا مَا أَخَذَ الْيَهُودُ مِنْ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ .

فِيَضْحَكُ الْعَبَّاسُ ( رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) وَيَقُولُ :

- أَيُّهَا الْمَخْدُوعَةُ ، ضَاعَ مِنْكَ الزَّوْجُ وَالْمَالُ إِنَّكَ غَارِقَةٌ فِي

أَحْلَامٍ !!

فَتُدْهَشُ ( أُمُّ شَيْبَةَ ) وَتَقُولُ لِلْعَبَّاسِ :



- ماذا تقول يا عباس ؟

فيقول لها « رَضِيَ اللهُ عَنْهُ » :

- إِنَّ زَوْجَكَ قَدْ أَسْلَمَ ، وَسَافَرَ لِيُلْحَقَ بِمَحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ،  
وَقَدْ خَدَعَكُمْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ لِيَسْتَرِدَّ أَمْوَالَهُ .

فَقَالَتْ أُمُّ شَيْبَةَ فِي حُزْنٍ :

- يَا ابْنَ الْعَمِّ مَا أَرَاكَ إِلَّا صَادِقًا ، وَلَكِنْ مَنْ أَخْبَرَكَ بِهَذَا ؟  
فَقَالَ الْعَبَّاسُ :

- الْحَجَّاجُ هُوَ الَّذِي أَخْبَرَنِي يَا أُمَّ شَيْبَةَ .

فَانْطَلَقَتْ أُمُّ شَيْبَةَ إِلَى أَهْلِهَا حَزِينَةً بَاكِيةً مُؤَلِّوَةً ، فَقَدْ ضَاعَ  
مِنْهَا زَوْجُهَا ، وَضَاعَ مِنْهَا مَالُهَا .

\* \* \*

أَمَّا الْعَبَّاسُ ، فَقَالَ لِلْمُسْلِمِينَ مَا يَعْرِفُ ، فَسَرَّهُمْ بَعْدَ حُزْنٍ ،  
وَفَرَّحَهُمْ بَعْدَ مَا نَالَهُمْ مِنَ الْعَمِّ وَالْحَسْرَةِ ، وَانْتَشَرَتْ فِيهِمْ بَوَادِرُ  
النَّصْرِ ، فَكَانَتْ لَهُمْ أَمَلًا وَنُورًا .

وَسَارَ الْعَبَّاسُ إِلَى الْكَعْبَةِ ، فَوَجَدَ الْكُفَّارَ يَقُولُونَ ، وَيَكْذِبُونَ  
وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْجُدُ لِلصَّنَمِ ، وَمَنْ يَتَقَرَّبُ إِلَى الْحَجَرِ .  
فَقَالَ لَهُمُ الْعَبَّاسُ :

– هَلْ أَتَاكُمْ الْخَبْرُ فِي مَوْقَعَةٍ خَيْرٍ؟

قَالُوا :

– أَتَانَا الْخَبْرُ الصَّادِقُ ، إِنَّ الْمُسْلِمِينَ هُزِمُوا ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا

أَسِيرٌ عِنْدَ الْيَهُودِ ، وَسَيَأْتُونَنَا بِهِ عَمَّا قَرِيبٍ – هُنَا فِي مَكَّةَ .

قَالَ الْعَبَّاسُ :

– إِنَّكُمْ عَلَى ضَلَالٍ وَكَذِبٍ .

قَالَ الْكَفَّارُ :

– كَيْفَ ذَلِكَ يَا عَبَّاسُ؟

قَالَ الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

– إِنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قَدْ انْتَصَرَ عَلَى يَهُودِ خَيْبَرَ ، وَقَتَلَ

كِبَارَهُمْ ، وَمُلِكَ الْمُسْلِمُونَ أَرْضَهُمْ ، وَأَسَرُوا كَثِيرًا مِنَ الرُّجَالِ ،

وَالنِّسَاءِ ، وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَفِيَّةَ بِنْتِ حِمْيٍ ابْنِ أُخْطَبٍ

زَعِيمُهُمْ .

فَقَالَ الْكَفَّارُ :

– إِنَّكَ لَكَاذِبٌ يَا عَبَّاسُ! ؟ وَمَنْ أَخْبَرَكَ بِهَذَا؟

فَقَالَ الْعَبَّاسُ :

أَخْبَرَنِي الْحِجَّاجُ السُّلَمِيُّ وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ أَسْلَمَ ، وَاشْتَرَكَ مَعَ



مُحَمَّدٍ فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ ، وَأَنَّهُ جَاءَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ بَعْدَ أَنْ  
اسْتَأْذَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ لِيَسْتَرِدَّ أَمْوَالَهُ مِنْكُمْ .

دُهِشَ الْقَوْمُ لَذَلِكَ الْخَبِيرِ الْمُؤَلِّمِ الَّذِي أَنْزَلَهُ الْعَبَّاسُ عَلَيْهِمْ  
نُزُولَ الدَّاهِيَةِ ، فَقَلَبَ فَرَحَهُمْ بِنَصْرِ الْيَهُودِ عَلَى مُحَمَّدٍ حُزْنَ ،  
أَصَابَ مِنْهُمْ الصَّمِيمَ ، وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ يُحَدِّثُ بَعْضًا بِمَا صَنَعَ  
الْحَجَّاجُ ، ثُمَّ ذَهَبُوا إِلَى امْرَأَتِهِ « أُمِّ شَيْبَةَ » فَوَجَدُوهَا فِي حُزْنٍ  
وَعَوِيلٍ عَلَى مَا فَرَطَتْ فِي الْمَالِ ، وَمَا خَدَعَهَا بِهِ زَوْجُهَا الْحَجَّاجُ  
وَمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ بَعْدَ إِسْلَامِهِ ، وَأَنَّهُ سَيَتَزَوَّجُ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا .

\*\*\*

وَقَدِمَ الْحَجَّاجُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَعَاشَ بِهَا ، فِي جِوَارِ رَسُولِ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبَنَى بِهَا دَارًا ، وَمَسْجِدًا ، يُعَرَفُ بِهِ  
وَحَضَرَ بَقِيَّةَ الْغَزَوَاتِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ فِي رِكَابِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ  
وَالسَّلَامُ .

